أبعاد الوصف الجسدي في ثلاثية غرناطة[1]

Hüseyin ELMHEMIT[2]

الملخص

يتناول هذا البحث تمثيلات الجسد في ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور بوصفه عنصرًا دلاليًا يتجاوز البعد الفيزيائي ليعكس التحولات النفسية والاجتماعية والسياسية التي تمر بها الشخصيات في سياق تاريخي مضطرب. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن الكاتبة استثمرت الجسد بوصفه نصًا موازيًا للنص السردي يمكن من خلاله قراءة صراعات الهوية، والاغتراب، والمقاومة، والانكسار. وقد اعتمدت الدراسة على منهج تحليلي وصفي للكشف عن الأساليب التي تم بها توظيف الجسد في بنية السرد، مع التركيز على الجسد الأنثوي والذكوري بوصفهما أداتين للتعبير عن تجارب فردية وجمعية، تتقاطع فيها الأبعاد العاطفية والسياسية والثقافية. وأظهرت النتائج أن رضوى عاشور تعمّدت تفكيك الصور النمطية للجسد من خلال وصف متنوع وغير نمطي، يعكس التعدد العرقي والثقافي كما خلص البحث إلى أن الجسد لم يُقدَّم بوصفه جسدًا فرديًا فحسب، بل بوصفه نصًا رمزيًا يجسّد صراعًا أكبر بين القهر والاستلاب من جهة، والكرامة والصمود من جهة أخرى، وقد أوصى البحث بضرورة توسيع دائرة الدراسات التي تتناول الجسد في الأدب العربي من منظور ثقافي وتاريخي، لما يحمله من إمكانات تحليلية غنيّة ومركّبة.

الكلمات المفتاحية: الوصف الجسدي، تحليل الشخصيات، رضوى عاشور، ثلاثية غرناطة، الانعكاسات النفسية.

[1] Makale Geliş Tarihi/Received: 05.05.2025 / Makale Kabul Tarihi/Accepted: 27.06.2025

[2] Dr. Öğr. Üyesi, Hatay Mustafa Kemal Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagatı, hud.kk51@gmail.com, ORCID NO: 0000-0002-3630-5215

Dimensions of Physical Description in the Granada Trilogy

ABSTRACT

This article examines the representation of the body in Radwa Ashour's *Granada Trilogy* as a semantic construct that extends beyond its physical dimension, serving as a lens through which the psychological, social, and political transformations of the characters are articulated within a fraught historical context. The study is premised on the hypothesis that Ashour employs the body as a parallel text to the primary narrative, enabling the interpretation of identity struggles, alienation, resistance, and defeat. Utilizing a descriptive and analytical methodology, the research investigates the narrative strategies through which the body is integrated into the text, with particular attention to the depiction of both female and male bodies as vehicles for expressing individual and collective experiences at the intersection of emotional, political, and cultural domains.

The findings indicate that Ashour intentionally subverts conventional and stereotypical representations of the body, offering instead a range of diverse and nuanced descriptions that reflect ethnic and cultural plurality. The study concludes that the body in the *Granada Trilogy* is not merely an individual entity, but rather functions as a symbolic text that encapsulates the broader conflict between oppression and alienation, and the pursuit of dignity and resilience. The article recommends further research into the representation of the body in Arabic literature from cultural and historical perspectives, given its significant and multifaceted analytical potential.

Keywords: *Physical description, character analysis, Radwa Ashour, Granada Trilogy, psychological reflections.*

Sülâsiyyetü Gırnata'da Beden Tasvirinin Boyutları

ÖZ

Bu çalışma, Radva Aşur'un "Sülâsiyyetü Gırnata" adlı romanında fiziksel betimlemelerin karakterlerin psikolojik ve sosyal rolleriyle nasıl örtüştüğünü analiz etmeyi amaçlamaktadır. Araştırmada, bedensel özelliklerin yalnızca dış görünüşü yansıtmakla kalmadığı, aynı zamanda karakterlerin ruhsal dünyalarını, yaşadıkları tarihi ve toplumsal dönüşümleri de açığa çıkardığı ortaya konulmuştur. Roman boyunca yazar, bedeni bir anlatı aracı olarak kullanarak karakterlerin içsel kırılmalarını, mutluluklarını, kaygılarını ve toplumsal konumlarını okuyucuya aktarmaktadır. Kadın ve erkek bedenlerinin betimlenişi, estetik bir düzlemde kalmamakta; aksine bu betimlemeler tarihsel, kültürel ve hatta politik anlamlar taşımaktadır. Gözler, yüz hatları, beden yapıları aracılığıyla roman karakterlerinin geçirdiği duygusal değişimler ve toplumsal baskılar detaylı bir şekilde yansıtılmıştır. Sonuç olarak, bu çalışmada bedensel betimlemelerin Sülâsiyyetü Gırnata'da çok katmanlı bir işlev taşıdığı; karakterlerin kimliklerini, yaşadıkları çevresel değişimleri ve psikolojik halleriyle derinlemesine bağlantılı olduğu sonucuna varılmıştır. Bedensel anlatım, romanın insani, tarihsel ve estetik boyutunu zenginleştiren temel bir unsurdur.

Anahtar Kelimeler: *Bedensel betimleme, Karakter Analizi, Radva Aşur, Sülâsiyyetü Gırnata, Psikolojik Yansımalar.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: ففي زمنٍ مهدَّدٍ بقِصر الذاكرة والانفصال عن الجذور، تبرز ثلاثية غرناطة كعملٍ أدبي فريد يمزج بين الفنّ والتاريخ والهوية في سردٍ يُلامس القلب والعقل معًا. تُقدِّم الكاتبة رضوى عاشور سردًا ملحميًا يمتدّ على مدار قرنٍ من الزمان، يبدأ مع سقوط مدينة غرناطة، آخر معاقل المسلمين في الأندلس عام 1492، ويغوص في التحولات الجذرية التي شهدها أهل تلك الأرض من اضطهاد، وقمع، ومحاولات ممنهجة لطمس هويتهم الدينية والثقافية.

تنقسم الرواية إلى ثلاثة أجزاء مترابطة: غرناطة، ابنة مراد (مريمة)، والرحيل،[3] ومن خلال هذه الأجزاء تتابع عاشور حياة عائلة أندلسية مكوّنة من الجد أبي جعفر الورّاق، وحفيدته نعيمة، والطفلة مريمة التي ستصبح لاحقًا محور الرواية في جزئها الثاني. تبدأ الحكاية بحدثٍ بالغ الرمزية وهو دخول القوات الإسبانية إلى غرناطة ورفع الصليب فوق أبراج الحمراء، في إشارة إلى نهاية عصرٍ وبداية آخر. يشكّل هذا الحدث الخلفية التاريخية التي تُظلل ما يليها من وقائع.

ما يميز ثلاثية غرناطة ليس فقط سردها للأحداث التاريخية، بل قدرتها على تقديم هذه الوقائع من منظور إنساني عميق، فالقارئ لا يشهد التاريخ من موقع المؤرّخ البعيد، بل يعيشه من خلال تفاصيل الحياة اليومية لأشخاص بسطاء وجدوا أنفسهم في قلب العاصفة. يتجلّى هذا بوضوح في شخصية أبي جعفر، الورّاق العجوز الذي يتمسك ببقايا تراثه العربي الإسلامي عبر كتبه ومكتبته، إلى أن يُجبر لاحقًا على إحراقها أمام أعين الجنود الإسبان. هذا المشهد لا يمثل لحظة درامية فحسب، بل هو رمز لانهيار حضارة وصراعٍ بين المعرفة والقمع.

[3] انظر. رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة* (القاهرة: دار الشروق: 2005)، 7،247، 399.

أما مريمة التي تظهر بدايةً كطفلة بسيطة، فتتحول إلى رمزٍ للمقاومة الصامتة، امرأة تواجه واقعًا وحشيًا دون أن تتخلى عن كرامتها. تمثل شخصيتها صورة المرأة العربية التي تتحمل الأعباء الأثقل في أوقات الشدة، فتقاوم لا الاحتلال فقط، بل فقدان الأحبة، والحرمان، والقلق الوجودي المستمر. وفي هذا السياق تُعيد عاشور للمرأة دورها المركزي في الحكاية التاريخية، لا كشاهدة صامتة، بل كفاعلة في صياغة الحياة حتى في قلب الرماد.

كما لا تُغفل الرواية الأبعاد النفسية والوجدانية لشخصياتها، فالحزن، والقلق، والحنين، والخوف، كلها مشاعر تُنقل بواقعية مدهشة تجعل القارئ يتألم مع الشخصيات ويشعر بقهرها كما لو كان جزءًا من حكايتها. وهذا الارتباط العاطفي يرفع النص من مجرد توثيق تاريخي إلى تجربة أدبية نابضة ومؤثرة.

من الناحية الأسلوبية، تستخدم رضوى عاشور لغة رشيقة، واضحة، ومشحونة بالعاطفة، دون أن تفقد وقارها الأدبي، وتتجنب المبالغة اللفظية، وتُفضّل سردًا يخدم الحكاية، فتبني عالمًا روائيًا متماسكًا يضيئه الانتباه للتفاصيل الصغيرة، مثل رائحة الخبز، وحكايات الجدة.

وتحمل الثلاثية كذلك بعدًا رمزيًا عميقًا، فغرناطة ليست مجرد مدينة، بل رمزٌ للحضارة والهوية والانتماء، وسقوطها في الرواية يطرح تساؤلات لا تزال راهنة حتى اليوم: كيف نُواجه القهر؟ كيف نحافظ على ذاكرتنا؟ هل يمكن للهوية أن تزول تحت الضغط؟ أم أن بقاءها في الذاكرة وحده يكفي لمقاومة الاندثار؟

وربما تكمن عظمة ثلاثية غرناطة في قدرتها على أن تكون في آنٍ واحد رواية شخصية، ووثيقة تاريخية، وصوتًا للمهمَّشين. هذا المزج النادر هو ما منحها مكانة خاصة كواحدة من أبرز الأعمال الأدبية العربية في أواخر القرن العشرين، وجعلها مادة غنيّة للبحث الأكاديمي والتحليل النقدي في مجالات الأدب والتاريخ والدراسات الثقافية.

وبين السطور، تُذكّرنا الرواية دومًا بأن التاريخ ليس مجرد سردٍ للوقائع الكبرى، بل هو أيضًا تاريخ البيوت الصغيرة، والعائلات التي عاشت الظلم، والقلوب التي قاومت في صمت، وهنا تحديدًا تتجلّى عظمتها في تحويل التراجيديا الجماعية إلى تجربة إنسانية تمسّ كل قارئ، وتثير فيه الحنين، والدهشة، والغضب في آنٍ معًا.

فيما يتعلق بالوصف الجسدي في ثلاثية غرناطة فهو يمثل أداة سردية دقيقة توظفها رضوى عاشور لتجسيد التحولات النفسية والاجتماعية التي تمر بها الشخصيات، والروائي صانع صورة في الحقيقة والراوية تجسد هذا التصوير، وللزمن صورته وللشخصيات صورتها، وللجسد صورته،[4] فالهيئة الخارجية في الرواية ليست مجرد تفصيل جمالي، بل مرآة تعكس ما يعتمل في الداخل من صراعات وهموم، وكذلك استخدمتها الكاتبة كهوية فالملامح العربية يجب أن تحمل الهوية العربية معها بخلاف الملامح الإفرنجية الظاهرة التي حملت معها كل أصناف العذاب.

هدف البحث ومنهجيته

إنَّ أبعاد الوصف الجسدي في ثلاثية غرناطة تمثل جانبًا مهمًا من جوانب تحليل النص الأدبي، حيث يعكس هذا الوصف العلاقة بين الشخصية والمجتمع من خلال التركيز على الملامح الجسدية التي يمكن أن تحمل دلالات نفسية واجتماعية، والوصف الجسدي في هذه الرواية لا يقتصر على مجرد تحديد شكل الشخصيات بل يتجاوز ذلك ليكشف عن الروح الثقافية والتاريخية التي كانت سائدة في تلك الحقبة، مما يعزز من فهم القارئ لشخصيات الرواية ويمنحها بعدًا إنسانيًا يعكس التوترات الاجتماعية والهوية الثقافية.

أما بالنسبة لمنهج البحث المتبع في الدراسة فهو المنهج الوصفي والذي يعد من الأساليب الأكثر استخدامًا في الدراسات الاجتماعية والأدبية، حيث يركز على وصف الظواهر دون التدخل في تفسيرها. في هذا المنهج، يُسعى إلى تقديم صورة واضحة ودقيقة

[4] انظر. نازف حفيظة، أمين الزاوي،" صورة المرأة الموريكسية في رواية ثلاثة غرناطة لرضوى عاشور"، دراسات معاصرة مجلة علمية محكمة، مجلد 6/عدد 02، 518.

للأبعاد الجسدية التي تظهر في النصوص الأدبية، وبذلك يتمكن الباحث من تحليل كيفية تأثير هذه الأبعاد على العلاقات بين الشخصيات وعلاقتها بالمجتمع.

1. أهمية تناول الوصف الجسدي في العمل الأدبي

يُعدّ الوصف الجسدي في العمل الأدبي أحد العناصر الفنية التي تضطلع بدور محوري في تشكيل الشخصيات وتجسيدها أمام القارئ، إذ لا يقتصر دوره على نقل صورة بصرية للشخصيات، بل يتجاوز ذلك ليصبح مرآة تعكس أبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية، فعندما يصف الكاتب ملامح وجه أو حركة جسد، فإنه لا يرسم صورة شكلية فقط، بل يفتح نافذة إلى أعماق الشخصية، ويُمهّد لتفاعلاتها داخل النص، فمثلًا قد يُشير شحوب الوجه إلى خوف دفين، أو يُفصح وصف الخطى المتثاقلة والانحناء الدائم للظهر عن تعب عمر أو هزيمة روحية.

في كثير من الأحيان يُستخدم الوصف الجسدي كأداة رمزية تُعبّر عن موقع الشخصية في المجتمع أو عن مواقفها من الأحداث، ففي رواية *ثلاثية غرناطة* لرضوى عاشور، يظهر الكاردينال من خلال وصف يديه بالكبيرتين أنه رجل ظالم يبطش بالناس وإن لم تذكر الكاتبة ذلك.[5] وعلى العكس نرى في *الطاعون* لألبير كامو أن الوصف المقتضب للجسد الخالي من الملامح يُقصد به التعميم الرمزي، حيث تغدو الشخصيات تمثيلات لفكرة أو مصير مشترك، لا أفرادًا بخصوصياتهم، بمعنى آخر، الشخصيات ليست مهمّة لذاتها كأشخاص حقيقيين بوجوه وأجساد، بل مهمّة لأنها تمثل الإنسانية كلها أو مصيرًا عامًا يشمل الجميع، مثلما يفعل الوباء الذي لا يفرّق بين أحد.[6]

الوصف الجسدي يُسهم كذلك في خلق نوع من الانغماس الحسي في العالم الروائي حين يُجيد الكاتب تصوير الملامح وتفاصيل الجسد ولغة الجسد، يشعر القارئ أنه يعيش داخل الرواية، يرى الشخصيات أمامه ويتفاعل معها كأنها حقيقية. في هذا السياق يقول الدكتور نبهان السعدون: "يمثل الوصف لوناً من ألون التصوير إذ إنه أسلوب

[5] انظر. رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 46.
[6] انظر. البيركامو، *الطاعون*، ترجمة: سهيل ادريس (بيروت: دار الآداب، 1981)، 5- 300.

إنشائي يقدم المظاهر الحسية للأشياء لذا يشكل الوصف نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد تستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات".[7]

من جهة أخرى، يُتيح الوصف الجسدي للكاتب أن يُعبّر عن تغيرات الشخصية على مدار الزمن، سواء في تطورها الداخلي أو في انعكاس الأحداث عليها، فعين تلمع بالحياة في بداية الرواية قد تُطفأ في نهايتها، وكتف مشدودة بالعزيمة قد تنحني تحت وطأة الخذلان. هذه التحولات لا تحتاج دائمًا إلى تفسير صريح، يكفي أن يصفها الروائيّ بحسّ بصري دقيق لتصل إلى القارئ محمّلة بإيحاءات عميقة.

إن أهمية الوصف الجسدي لا تكمن في الزخرفة اللغوية أو إثارة الفضول البصري، بل في وظيفته البنيوية والجمالية داخل النص. إنه جزء من إستراتيجية السرد، ووسيلة لتشكيل الوعي القرائي بالشخصية والعالم المحيط بها. بل يمكن القول إن غياب الوصف الجسدي أو حضوره بشكل باهت قد يُضعف من واقعية النص وعمقه النفسي، ويجعل الشخصيات مجرّدة أو سطحيّة.[8]

2. نبذة عن الكاتبة رضوى عاشور وأعمالها الأدبية

رضوى عاشور هي واحدة من الأسماء البارزة في الأدب العربي المعاصر، وُلدت في القاهرة في 26 مايو 1946، وتوفيت في 30 نوفمبر 2014. تُعدّ واحدة من أكثر الأصوات الأدبية تأثيرًا في الأدب العربي الحديث، حيث قدمت إسهامات بارزة في مجالات الرواية والشعر والنقد الأدبي. كانت أعمالها دائمًا متصلة بقضايا الإنسان، والأسئلة الوجودية، والمقاومة.

حصلت رضوى عاشور على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة القاهرة، ثم تابعت دراستها للحصول على الدكتوراه في الأدب المقارن. بدأت مسيرتها

---

[7] نبهان حسون السعدون، *جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة* (دمشق: دار تموزه، 2014)، 25.

[8] لمزيد من المعلومات حول توظيف الجسد في الراوية العربية ينظر. منال عبد العزيز، "تمثيلات الجسد في الراوية العربية قراءة موضوعاتية لمناذج مختارة"، *مجلة سرديات*، العدد 2018/28، 237.

الأدبية في السبعينيات، وكانت لها إسهامات كبيرة في مجال التدريس، حيث عملت كأستاذة في العديد من الجامعات العربية. أثرت هذه التجربة في كتاباتها، التي كانت دائمًا تحتوي على نقد أدبي وفكري عميق.[9]

إحدى أبرز سمات أعمالها هي قدرتها على مزج التاريخ بالخيال، كما يظهر في روايتها الشهيرة *ثلاثية غرناطة*، وهذه الرواية تعتبر واحدة من أرقى الأعمال في الأدب العربي، وتحكي الرواية قصة سقوط غرناطة، وبينما تركز على حدث تاريخي ضخم، نجحت رضوى عاشور في تحويله إلى ملحمة إنسانية تمس القلوب وتثير الوعي بالهوية الثقافية العربية، بالإضافة إلى *ثلاثية غرناطة*، كتبت رضوى عاشور العديد من الأعمال التي تناولت قضايا المجتمع العربي المعاصر مثل *الرحلة*، وهي رواية عن شخصيات تهاجر في فترات الحروب والصراعات السياسية، وتعرض حياة المهاجرين العرب في الغرب والتحديات التي يواجهونها.[10] هذه الرواية مثل العديد من أعمالها تمثل نظرة عميقة إلى معاناة الإنسان في مواجهة الظروف الصعبة، مع التركيز على مفهوم الهوية والأمل وسط الواقع المعيش.

أما رواية *الطنطورية* فهي تروي قصة رُقيّة الطنطوري، فتاة فلسطينية من جنوب لبنان، تسرد معاناتها منذ مذبحة صبرا وشاتيلا وما تلاها من تشرد ونزوح. تعكس الرواية مأساة الشعب الفلسطيني من خلال تجربة شخصية مؤلمة، وتسلط الضوء على الحياة في المخيمات، والشتات، والنضال، بأسلوب إنساني عميق ولغة مؤثرة.[11]

لم تقتصر أعمالها على الأدب فقط بل كانت أيضًا ناشطة اجتماعية، معروفة بمواقفها السياسية ضد الاستبداد. أصبح قلمها سلاحًا للدعوة إلى الحرية والديمقراطية.

---

[9] انظر. نهاد طاهر، أبو بكر، "الأثر الديني في رواية رضوى عاشور التاريخية"، مجلة الأضواء، عدد 37/ 57، 2022 ، 234.

[10] انظر. رضوى عاشور، *الرحلة أيام طالبة مصرية في أمريكا* (بيروت: دار الشروق، 2015)، 1-180.

[11] انظر. رضوى عاشور، *الطنطورية* (بيروت: دار الشروق، 2010)، 7-400.

3. وصف الجسد في ثلاثية غرناطة

يُعدّ وصف الجسد في *ثلاثية غرناطة* مدخلًا مهمًا لفهم البنية الجمالية والدلالية للرواية، إذ لم يكن الجسد مجرد مكوّن وصفي أو جمالي، بل تحوّل إلى أداة تعبير عن التحولات الاجتماعية والسياسية والوجودية التي عاشها الأندلسيون بعد سقوط غرناطة. وسوف نبحث تفصيلات هذا الأمر في العناوين التالية:

3. 1. ارتباط الوصف بالأدوار الاجتماعية والنفسية للشخصيات

في رواية "ثلاثية غرناطة" يتجلى بوضوح ارتباط الوصف الجسدي بالأدوار الاجتماعية والنفسية للشخصيات، حيث تسهم الكاتبة رضوى عاشور في تجسيد ملامحهم كمرآة داخلية تعكس ما يعتمل في دواخلهم من مشاعر ومواقف، فشخصية أبو منصور المليح الظريف، الذي كان يُعرف بخفة دمه ونكاته وضحكه الذي يهز كرشه الكبير، وقد وُصف بأنه "بدينًا بشرته وردية وملامحه دقيقة وذقنه ملساء له رأس صغير وكرش كبير يهتز اهتزازًا وهو يضحك"[12]، ينقلب حاله بعد المعاهدة التي عقدها المسلمون مع القشتاليين تلك التي تنص على احترام الدين والعادات وحرية البيع والشراء لكنها في الحقيقة لم تكن سوى حبر على ورق، فيجلس بعدها "ساهماً زاهدًا"، فتتحول بهجته الخارجية إلى حزن داخلي ينعكس على مظهره.

ويظهر البعد النفسي جليًا أيضًا في وصف إحدى الأسيرات من العالم الجديد بأنها "فتاة ممشوقة كالعود"،[13] إذ لا يُنظر إلى جسدها فقط من منظور جمالي بل كرمز للهشاشة والانكسار، بينما يُقابل هذا الجمال المأساوي بالقبح المعنوي في وصف أسقف طليطلة الذي جاء إلى غرناطة في الصيف، رغم أن صيفها يفيض بالخيرات من الزيتون والمشمش والرمان والعنب والجوز واللوز والكستناء والمياه الدافقة، إلا أن شكله جاء

[12] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 15.
[13] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 36

مضادًا للطبيعة، حيث تصفه الكاتبة بـ"حليق الرأس، صارم الوجه، أصفر الوجه، ذو جبهة عريضة وعينان صغيرتان، وله شفتان دقيقتان زادت العليا على السفلى، وجسده نحيل، يبدو في ثوبه الأسود كوطواط بشري"،[14] مما يعكس قسوته الداخلية وغربته عن بيئة غرناطة المفعمة بالحياة.

أما في مشهد وصف العروس فتُضفي الكاتبة جمالًا أخّاذًا يعكس الأفراح التي ما زالت تقام مع بداية دخول القشتاليين،[15] وتصفها بـ"شعرها أسود مجعد وكثيف وبدنها أسمر ملتمع ومتورد، والثديان ناهضان مستديران وصغيران، وخصرها نحيل، والردفان بهما امتلاء طفيف، وساقاها مصبوبتان، سبحان من صوّر".[16]

يستمر هذا الترابط العميق بين الجسد والحالة النفسية والاجتماعية في وصف سعد عند خلافه مع سليمة، حيث يبدو "شاحب الوجه زائغ العينين"،[17] ما يعكس اضطرابه الداخلي وشعوره بالضياع، كما يظهر تأثير الحكايات المؤلمة في ملامح سليمة حين كانت تستمع لما فعله القشتاليون بعائلة سعد، فقد انطبع الرعب في ملامحها، وكذلك عندما غاب حسن ليلة كاملة دون أن يخبر أحدًا، كانت أمه "شاحبة الوجه ملتهبة العينين"،[18] فحالة القلق التي اجتاحتها تُرجمت بوضوح على ملامحها.

وتُجسد الكاتبة مرور الزمن والتجارب القاسية في وصفها لنعيم بعد عودته من العالم الجديد، حيث تصفه بأنه "شكله غريب وشعره أبيض كالثلج وطويل ونحيل ورث الثياب وتكاثرت في وجهه التجاعيد وترك شعره مسترسلًا حتى الكتفين كأنه لم يقصه أو يمشطه منذ سنوات"،[19] وكأن الجسد صار وثيقة للعناء، وكذلك الحال مع مريمة حين كبرت، إذ وُصفت بأنها "واهِنة نحيلة العود، خف شعرها الفضي، ودقت جديلتاها

---

[14] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 44

[15] انظر. فريدة مقلاتي، "صورة الأندلس في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور"، *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة بتنة*، مجلد 22 عدد 2 2021، 498.

[16] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 78

[17] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 83

[18] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 199

[19] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 255.

خيطان يؤطران وجهها المتغضن وعينيها الشاردتين"،[20] فصارت ملامحها خريطة للعمر، وذاكرة للألم، لتُبرِز الرواية عبر هذا التماهي بين الجسد والنفس كيف يكون الشكل انعكاسًا عميقًا للهوية والواقع والتاريخ.

يتضح من خلال رواية "ثلاثية غرناطة" أن الوصف الجسدي كان أداة فنية تعكس أعماق الشخصيات وتحولاتهم النفسية والاجتماعية. استخدمت الكاتبة هذا الأسلوب لتقريب القارئ من التجربة الإنسانية المعيشة. فالجسد في الرواية ليس سوى مرآة للروح وما يعتمل فيها من مشاعر وأحداث.

3. 2. وصف العينين والوجه

"العين جزءٌ من أعضاء الجسم، وقد يأتي وصفها غالباً مع بقية أعضائه بشكلٍ عام، أو ضمن وصف أعضاء الوجه بشكل خاص، إلا أنها تحظى باهتمام كبير وحضور خاص في لغة الفن والأدب. ذلك أنها محط التركيز والاهتمام عند نظر الناس بعضهم إلى بعض، وما تعكسه العين من تعابير وملامح وأوصاف تمثِّل دلالات متفرِّدة وعميقة لشخصية الإنسان وانفعالاته وحالته النفسية أو المزاجية، ولذا نجد الروائيين لا يكادون يغفلون وصف العيون تحديداً لشخصياتهم الروائية"[21]

في رواية *ثلاثية غرناطة*، تلعب ملامح الوجه، وبالأخص العينان، دورًا محوريًا في تشكيل ملامح الشخصيات النفسية والوجدانية، فليست العينان مجرد عنصر من عناصر الجمال أو مكوّنًا شكليًّا، بل هما أداتان للكشف عن دواخل الشخصية وتحوّلاتها العاطفية والاجتماعية. يتجلى ذلك بوضوح في وصف شخصية سعد، حيث تقول الرواية" :أما العينان الكحلاوان اللتان كانتا تستوقفان الناظر في سنوات سابقة فقد بدتا أقل اتساعاً بعد بروز عظمتي الحاجبين، عمق سواد العينين ونظرة عتب حزينة تنفي ما تشي به الملامح الصارمة".[22] في هذا المشهد البصري، تسلط الكاتبة الضوء على التحول الداخلي

---

[20] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 342.

[21] طامي السميري، "تأملات في وصف عيون الشخصيات الروائية"، *مجلة القافلة*، أيلول 2021، https://qafilah.com.

[22] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 29.

العميق الذي طرأ على سعد، فعيناه اللتان كانتا في الماضي مركز جاذبيته، أصبحتا أكثر ضيقًا، وتغلفهما نظرة حزينة عاتبة، وكأن الزمن قد نال منه ومن بريق روحه.

أما نعيم، فتبدو ملامحه أكثر إشراقًا وانفتاحًا، وهو ما يظهر في الوصف التالي: "ملامح وجهه أدق وشعره كستنائي أملس يعلو شفتيه زغب أشقر خفيف ... وكانت ملامحه الدقيقة وعيناه العسليتان الملتمعتان ذكاء تضفيان على الوجه عذوبة"[23] الذكاء اللامع في عيني نعيم لا يمنحه فقط جاذبية بصرية، بل يضفي على وجهه ما يشبه الهالة الإنسانية الراقية، في توازن بين الذكاء والجمال والعذوبة، مما يميّزه عن بقية الشخصيات. ولكن في لحظة وداعه لسليمة، تتغير النظرة، وتدخل العيون مجددًا كأداة للتعبير عن الحزن الصامت، حيث تقول الرواية: "فتطلعت سليمة إليه فخال أنه رأى التماعة في عينيها أو ربما اختلاجة في وجهها"[24] هنا لا تبكي سليمة، لكن عينيها تتكلمان، وهما وحدهما القادرتان على التعبير عن ألم الفقد. وتُظهر كيف أن العيون في الرواية تحمل ما لا تنقله الكلمات.

وإذا كانت العين وسيلة للكشف عن الحزن والذكاء فإنها أيضًا أداة للكشف عن النية، وقد تتجلى فيها صفة المكر. تقول الرواية في أحد المواضع: "للْفتى عينان تتألقان بذكاء ماكر"[25]، فتُبرز كيف يمكن لنظرة واحدة أن تكشف عن دهاء الشخص وخداعه، مما يمنح العين طابعًا أخلاقيًا يكشف النوايا الباطنة. وفي المقابل حين تصف الرواية ملامح وجه السجين، نكتشف كيف أن الوجه بأكمله يتحول إلى رمز للبؤس والانكسار، فتقول: "نحيل كأنما قد من عود قصب شاحب الوجه نادراً ما يبتسم"[26] هذا التوصيف يرسم صورة بصرية قوية لإنسان مسحوق، سُلبت منه البهجة والحرية.

ومن أجمل ما يميز الرواية هو اهتمامها بالملامح كجزء من الهوية الجمالية والثقافية، خاصة العيون الكحلاء التي أُوليت اهتمامًا خاصًا في أكثر من موضع، كما في

---

[23] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 30.
[24] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 163.
[25] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 193.
[26] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 193.

قولها: "وقد راقت لهن قدودهم الممشوقة ووجوههم السمراء المنحوتة وعيونهم الكحلاء"[27] وأيضاً:" اقتربت المرأة منه لاطفها بالكلام فتطلعت إليه بعينين واسعتين مكحولتين فقال لها إن عينيها آسرتان"[28] هذا الوصف لا ينفصل عن التراث العربي الذي طالما تغنى بجمال العيون الكحلاء، مثلاً يقول الشاعر:

زادت على كُحُل العيون تكحّلاً ... ويُسَمّ نِصْل السهم وهو قتول[29]

ويقول شاعر آخر:

إِذَا كَحَلَ العيونَ بِهِ تَسَاوَى ... دُجَى ليلِ المريضِ مع الصباح[30]

من خلال هذه الشواهد، يظهر كيف أن رضوى عاشور لم تستخدم العينين والوجه كأوصاف سطحية، بل حمّلتها دلالات رمزية وثقافية وعاطفية تعمّق فهم القارئ للشخصيات وتحوّلاتها النفسية، وتعكس في الوقت نفسه هموم الهوية والانتماء والتاريخ.

3. 3. ملامح الوصف الجسدي للرجال في الرواية

في رواية ثلاثية غرناطة يُستخدم الوصف الجسدي للرجال كوسيلة فنية لبناء الشخصيات، ليس فقط من حيث مظهرها الخارجي بل من حيث ما يعكسه الجسد من طباع وتاريخ شخصي واجتماعي. تتنوع ملامح الرجال في الرواية ما بين النحافة والضخامة، والصرامة والرقة، والفتوة والضعف لتقدم الكاتبة بذلك بانوراما بصرية دقيقة تُعبّر عن واقع متداخل ما بين القوة والانكسار وبين الهيبة والخذلان.

نعيم يُقدَّم منذ البداية كفتى نحيل وهذا النحول ليس فقط وصفًا شكليًا بل يشير إلى هشاشته في بداياته، جسديًا وربما عاطفيًا كذلك تقول الكاتبة عنه: "كان صغيرًا

---

[27] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 186.
[28] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 198.
[29] عماد الدين الكاتب الأصبهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر*، تح. آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، محمد العروسي المطوي، الجيلاني بن الحاج يحيى (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت) 1/ 203.
[30] عماد الدين الكاتب الأصبهاني، *خريدة القصر وجريدة العصر*، 766/2.

له جسد نحيل وعينان عسليتان"[31] أما شخصية سعيد فتُقدَّم بصورة أكثر نضجًا وثقلاً تصفه الرواية قائلة: "له وجه أسمر منحوت يشي بشيء من تجهم أو صرامة، نما شاربه فأخفى الكبر النسبي للأنف وغلظة الشفتين، عمق سواد العينين ونظرة عتب حزينة تنفي ما تشي به الملامح من صرامة، متوسط الطول، مربوع، عريض المنكبين"[32] هذا الوصف يحمل كثافة بصرية ونفسية، فهو رجل فيه مزيج من الصلابة والانكسار، من الرجولة الظاهرة والحزن الكامن. ملامحه القوية والوجه الأسمر، والمنكبان العريضان، والشارب الكثيف تقابلها نظرة حزينة تخفف من حدّة هيئته.

وعلى الطرف المقابل تظهر صورة صبي إسباني بصورة شديدة الضعف والغرابة إذ تصفه الرواية بأنه: "أعجف ككوز الذرة له شوشة صفراء ووجه شاحب"[33] هذا التوصيف لا يخلو من سخرية ضمنية، فالصبي يبدو بلا حول ولا قوة، جسده هزيل، ووجهه شاحب كأن لا حياة فيه، وجود هذا الشكل الجسدي في الرواية قد يعكس تهافت الصورة الأوروبية رغم السلطة التي تمتلكها، إذ تتجلى المفارقة بين الهيمنة العسكرية والجسد الفارغ من القوة.

ويأتي وصف الأمير "خوان دي" كصورة تمثل السلطة والهيبة فقط دون الجمال حيث تقول الرواية: "كان وجهه عريضاً، واضح القسمات، وعيناه واسعتين لوزيتين، يعلوهما حاجبان ثقيلان، وأنفه بارز، ذو قصبة طويلة وأرنبة كبيرة، يعلو فمه شاربان كثان مفتولان من طرفيهما إلى أعلى، ولحيته مدببة صغيرة"[34] في هذا الوصف تظهر سمات الشخصية الحاكمة. القسماتُ الواضحة، والأنف البارز، والشاربان المفتولان كلها عناصر توحي بالكبرياء والسلطة، وربما بشيء من الاستعراض الذي يرتبط بالبلاط الملكي.

أما في مشهد لقاء علي بـ"الفارس"، فإن الوصف الجسدي يحمل بعدًا بطوليًا أقرب لما نجده في السير والملاحم، إذ تقول الكاتبة عن هذا الرجل: "وجهه أسمر نحيل به

---

[31] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 19
[32] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 29
[33] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 272.
[34] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 331.

استطالة، وعينان حادتان نافذتان كعيني صقر، له لحية وشارب اختلط الأبيض فيهما بالأسود وزاد".[35] هذا الجسد المتقشف الصارم يوحي بمرور السنين والتجربة الطويلة، فاختلاط الأبيض بالأسود في لحيته ليس فقط مؤشراً على العمر، بل على الحكمة المتراكمة.

يتجلى من خلال هذه الأمثلة أن الوصف الجسدي للرجال في ثلاثية غرناطة ليس اعتباطيًا، بل هو مفتاح لقراءة النفوس، فلكل هيئة حكاية، ولكل تفاصيل الجسد دور في التعبير عن الشخصية ومكانها في المشهد التاريخي والإنساني للرواية. تتعامل الكاتبة مع الجسد كرواية موازية للنص، تحمل بين طياتها ما لا تقوله الحوارات، وتُفصح عن أبعاد الشخصية بما يتجاوز السرد المباشر.

3. 4. تصوير الجسد الأنثوي في الرواية

في رواية *ثلاثية غرناطة* تتناول رضوى عاشور تصوير الجسد الأنثوي بدقة حسيّة وبأسلوب أدبي لا يخلو من الجمالية، إذ ترسم الكاتبة بألفاظها لوحات تنبض بالأنوثة من زوايا متعددة، تجمع بين الاحتفاء بالجمال الطبيعي للمرأة، وبين توثيق التنوع العرقي والثقافي في أجساد النساء، خاصة في فترة ما بعد سقوط غرناطة وما تبعها من تحولات اجتماعية حادة، هذه الصور تقدّم الجسد كرمز للهوية، والأنوثة، والانتماء، وحتى الاستعمار الجسدي والهيمنة.[36]

في أحد أبرز مشاهد الرواية وأكثرها جرأة واحتفاءً بالجسد الأنثوي تصف الكاتبة العروس في لحظة استعدادها للزواج، فتقول: "شعرها أسود مجعد وكثيف وبدنها أسمر ملتمع ومتورد والثديان ناهضان مستديران وصغيران وخصرها نحل والردفان بهما امتلاء طفيف وساقاها مصبوبتان سبحان من صور"[37] هذا الوصف المكثف والمشحون بالحسّ الجمالي يقدم جسد العروس بوصفه تحفة فنية، يكاد القارئ يلمس تفاصيله بعينيه.

---

[35] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 355.

[36] انظر. وفاء محمد محمد يوسف، "المرأة في ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور"، مجلة الدراسات العربية كلية دار العلوم، عدد 4 مجلد 48، 2023، 1754.

[37] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 78 .

الجسد هنا مصدر للدهشة، والتقدير، والإعجاب، لا للمُتعة فقط، كما تشير عبارة "سبحان من صور"، التي تضيف مسحة روحية على الجمال الجسدي.

وتتكرر هذه العناية الجمالية في وصف مريمة، الشخصية المحورية التي تمثل صوتًا نسائيًا عاقلاً ومتزنًا في الرواية، إذ تقول الكاتبة عنها: "وجهها خمري وشعرها موج أسود وملامحها مليحة"[38] مريمة على الرغم من بساطة وصفها تحمل في ملامحها ما يشبه الجمال الهادئ والمتوازن، وهو الجمال الذي لا يصرخ لكنه يُحس.

وعندما تنقل الرواية القارئ إلى العالم الجديد يتجلى تنوع الجسد الأنثوي بشكل أوضح، ففي وصف امرأة من هذا العالم تقول الرواية: "امرأة جميلة بها امتلاء مستديرة الوجه وعندها غمازتين في الوجه"[39] هذه الصورة تحمل دلالة على الرغبة بالحياة، والسمنة هنا لا تُقدّم كعيب بل كجزء من الجمال والامتلاء بالحيوية. وتصل الكاتبة إلى أقصى درجات التفصيل الجسدي حين تصف عشيقة نعيم في العالم الجديد، فتقول: "لها قسمات واضحة، وجهها أسمر فيه استدارة، وجبين واسع، وعينان سوداوان، وأنف كبير، وشفتان ممتلئتان، وشعر أملس طويل يلتمع سواده، وخصيبة البدن، في ثدييها امتلاء، عريضة الأكتاف والأرداف"[40] هذا الوصف لا يكتفي بالإشارة إلى الجمال، بل يستعرض الجسد بتفصيل يشبه التوثيق، وكأن الجسد هنا رمز للأنوثة العارمة.

ومن أفريقيا يأتي وصف العبدة "فضة" التي أسر أجدادها الإسبان حيث تقول الرواية: "سمراء وافدة القد طويلة لها وجه منحوت القسمات جميل، يميزه جبين عال، وبشرة لامعة، ووشم قديم على الشفة السفلى"[41] هذا الوصف يحتفي بالجمال الأفريقي، جمال فيه من القوة والتميّز ما يجعله حاضرًا في الذاكرة. وجود الوشم، والبشرة اللامعة، والوجه المنحوت يوحي بتاريخ طويل من التقاليد الثقافية والجمالية، ويُبرز كيف أن الرواية لا تحصر الجمال في نمط واحد، بل تحتفي بتنوعه واختلافه وتعدد دلالاته.

---

[38] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 90

[39] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 175.

[40] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 205.

[41] رضوى عاشور، *ثلاثية غرناطة*، 294

هكذا تُظهر رضوى عاشور عبر وصف الجسد الأنثوي تنوع المرأة في بيئاتها المختلفة، وتوظف هذا التنوع لإبراز البعد الإنساني والاجتماعي والتاريخي في الرواية، فالجسد ليس فقط موضوعًا جماليًا، بل وثيقة حية تعكس ثقافات متعددة، ومقاومة، وشغفًا وانكسارًا، وذاكرة.

الخاتمة

يتّضح من خلال تتبّع وصف الجسد في ثلاثية غرناطة أن رضوى عاشور لم تتعامل مع الجسد بوصفه أداة جمالية فقط، بل منحته طاقة دلالية تعكس التحولات النفسية والاجتماعية والسياسية التي عاشتها الشخصيات في ظلّ السياق التاريخي القاسي، فالوصف الجسدي تحوّل إلى وثيقة فنية وإنسانية تعبّر عما يحدث حولها من أحداث.

وقد ظهر هذا الوعي الجسدي في الرواية من خلال ترابط ملامح الجسد مع الدور الاجتماعي والنفسي للشخصية؛ فكل تغير في المظهر الخارجي كان يوازيه تحوّل داخلي، وهذا ما لاحظناه في شخصية أبي منصور، التي انتقل فيها من البهجة إلى الانكسار، كما ظهرت براعة الكاتبة في استخدام ملامح الوجه والعينين تحديدًا كنافذة للروح تعكس الحزن، أو الذكاء، أو المكر، أو الحب الصامت.

كما أن وصف الأجساد في الرواية كان أيضًا وسيلة للاحتفاء بالتنوع العرقي والثقافي، لا سيما في تصوير النساء من خلفيات متعددة، حيث لم تُقدَّم صورة واحدة للجمال، بل تعددت الأوصاف والألوان والأشكال، وكلّ جسدٍ حمل في تفاصيله جزءًا من سردية الاندماج أو المقاومة أو التهجير، فالجسد الأنثوي لم يكن فقط رمزًا للأنوثة، بل كان أيضًا وثيقة للتاريخ والاستعمار والتنوع.

في المقابل، تنوّعت أوصاف الأجساد الذكورية لتعبّر عن الفتوة، والسلطة، والضعف، حيث بُنيت صورة الرجل عبر مزج دقيق بين الهيئة والموقف. وكل وصف كان يخدم فهم القارئ لتحولات الشخصية، دون انفصال عن بعدها الزماني والمكاني.

ومن خلال هذه القراءة، يتضح أن الجسد في ثلاثية غرناطة كان جزءًا من معمار الرواية الفني والدلالي، وأن الكاتبة جعلت من المظهر وسيلة لفهم الجوهر، ومن الصورة الخارجية مفتاحًا للدخول إلى عمق الشخصية والتاريخ معًا. هذا التوظيف البارع يعزز من القيمة الأدبية والفكرية للعمل، ويمنحه أبعادًا جديدة لفهم الإنسان في لحظة التحوّل الحضاري.

وفي ضوء هذه النتائج، توصي هذه الدراسة بضرورة الالتفات إلى البُعد الجسدي في تحليل الشخصيات الأدبية، لا بوصفه زخرفة سردية، بل بوصفه أداة كاشفة لفهم الذات والآخر. كما يُستحسن تعزيز البحث في البُعد الثقافي والرمزي لوصف الجسد في الأدب العربي خاصة في الأعمال التي تتناول قضايا الهُوية والانتماء.

المصادر والمراجع

الأصبهاني، عماد الدين الكاتب. *خريدة القصر وجريدة العصر*. تح. آذرتاش آذرنوش. نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي. محمد العروسي المطوي. الجيلاني بن الحاج يحيى. تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت.

البيركامو، *الطاعون*. ترجمة. سهيل ادريس. بيروت: دار الآداب، 1981.

حفيظة، نازف. أمين الزاوي." صورة المرأة الموريكسية في رواية ثلاثة غرناطة لرضوى عاشور". *دراسات معاصرة مجلة علمية محكمة*، مجلد 6/عدد 2.

السعدون، نبهان حسون. *جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة*. دمشق: دار تموزه، 2014.

السميري، طامي. "تأملات في وصف عيون الشخصيات الروائية"، *مجلة القافلة*. أيلول 2021. https://qafilah.com.

طاهر، نهاد. أبو بكر. "الأثر الديني في رواية رضوى عاشور التاريخية". *مجلة الأضواء*. عدد 37. 2022.

عاشور، رضوى. *الرحلة أيام طالبة مصرية في أمريكا*. بيروت: دار الشروق، 2015.

عاشور، رضوى. *الطنطورية*. بيروت: دار الشروق، 2010.

عاشور، رضوى. *ثلاثية غرناطة*. القاهرة: دار الشروق: 2005.

عبد العزيز، منال. "تمثيلات الجسد في الراوية العربية قراءة موضوعاتية لمناذج مختارة". *مجلة سرديات*. العدد 2018/28.

مقلاتي، فريدة. "صورة الأندلس في رواية ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور"، *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة بتنة*. مجلد 22 عدد 2 /2021.

يوسف، وفاء محمد محمد. "المرأة في ثلاثية غرناطة لرضوى عاشور". *مجلة الدراسات العربية كلية دار العلوم*. عدد 4 مجلد 48/ 2023.